الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي-

مقياس حلقات البحث سنة ثانية ماستر

عنوان الماستر: تاريخ المغرب العربي المعاصر

تقديم: د. محمد غزالي

السداسي: الثالث

اسم الوحدة: المنهجية

الرصيد: 04

المعامل:02

محتوى المادة: تنظم حلقات البحث من طرف أستاذ المادة وتتناول موضوعات عامة حول التخصص، وتعرض أعمال الطلبة على أساتذة القسم أو أساتذة زائرين. من نفس التخصص.

الحلقة البحثية الأولى:

كيفية التعامل مع الوثائق التاريخية

تعتبر الوثيقة من بين المصادر الأساسية لدراسة الوقائع التاريخية، وهي ذخائر حية تحفظ ذاكرة الشعوب والأمم بمختلف تحولاتها الحضارية: والفكرية، والسياسية، والاقتصادية، ولا يخفى أن التراث المكتوب في الوثائق والمخطوطات يعد منبعا ماديا، وتراثا وازنا، ومؤثرا فاعلا في مسار المعرفة الإنسانية عموما، والتراث العربي الحديث والمعاصر خصوصا. كما أن الوثيقة تشكل دعامة أساسية لإعادة كتابة التاريخ الإنساني؛ نظرا لطبيعة محتوياتها، وقيمتها العلمية والحضارية، مما يستوجب العناية بها، وإتاحتها بطريقة مقننة وميسّرة للباحثين، والمؤرخين، والمهتمين، ليسهموا في إعادة بناء الذاكرة الإنسانية، والإفادة من مختلف التجارب.

الوثيقة التاريخية: يسمي ناصر الدين سعيدوني "الوثائق آثارا مكتوبة وتعرف عادة لديه بالأصول لكونها مادة خام ويقسمها الى ما هو أصلي لأن كاتبه يكون شاهدا على الحدث، وغير أصلي أي المعتمد فيه على كتابات تاريخية منقولة.

الصعوبات التي تواجه الطالب عند اعتماده على الوثيقة الأرشيفية

1. التلف والضياع بسبب الإهمال وعدم إدراك القيمة التاريخية لها
2. سوء حفظ تلك الوثائق وعدم اتباع الأساليب العلمية الصحيحة .
3. بتر بعض الأوراق المهمة مما يعرقل عملية الباحث في إيجاد الصفحات بشكل متسلسل
4. انعدام أهم الوثائق الأرشيفية المتعلقة بفترات معينة
5. عدم السماح لهم بالإطلاع على الأرشيف الابعد مرور فترة زمنية محددة

بعد أن ينتهي الطالب من جمع الأصول أو المصادر الأولية ، و المراجع الثانوية التي تخص موضوع بحثه ، ينبغي له قبل أن يشرع في تدوين المعلومات عنها، أن يمعن النظر قليلا في أصالة ما لديه منها ، لأنه لو ابتدأ العمل باستخراج المعلومات من أصل من الأصول التي عدها حقيقية ، ثم تبين له فيما بعد أنها ليست كذلك ، و أنها وضعت للمغالطة أو التضليل أو التزوير ، لضاع وقت الباحث سدى ، لذا وجب عليه أن يتأكد أولا من أصالة الأصول و يتثبت من خلوها من كل دنس و تزوير. ولكي يحقق الباحث في التاريخ هذه العملية يجب عليه إتباع طريقة البحث التاريخي ، التي تقوم على نقد الوثائق آو الأصول التاريخية

رابعا: النقد الظاهري:

يعتبر مرحلة أولية أثناء عملية البحث ومعناه التأكد:

صاحب النص

- هل هو ذلك الذي يدعي أن الوثيقة من تأليفه
- إذا ما كان معايشا للفترة التي يكتب عنها، وقد يكون حاكما عاما أصدر قرارا مشابها

مقارنة تلك الوثيقة

- مقارنة تلك الوثيقة مع الوثائق التي كتبت في نفس الفترة وبالتالي التأكد من مدى علاقة كاتب الوثيقة ومعاصرته للحدث إذا لم يكن صاحبها
- فحص الخط الذي كتبت به الوثيقة ولغتها، وكذا العصر الذي كتبت فيه
- معرفة الموارد والأصول التي اعتمدت عليها الوثيقة.

بانتهاء الباحث من نقد الأصول، معرفة هذا المؤلف و شخصيته و علاقته بالحوادث التي كتب عنها و مدى مشاهدته لتلك الحوادث بنفسه ، و كذلك معرفة زمن التدوين ، و هل تم ذلك التدوين ، أفي مكان وقوع الحادث ، أم في مكان بعيد عنه و بعد الإجابة عن كل هذه الأسئلة يكون الباحث قد انهي مرحلة من مراحل النقد الخارجي و استعد للانتقال إلى المرحلة الثانية من النقد .

خامسا: النقد الباطني:

النقد الباطني أو الداخلي الذي يركز على بيان ما قصده مؤلف الوثيقة من كلامه ، ثم معرفة صدقه في الرواية ، سواء أكان شاهد عيان أم ناقلا عن غيره،

وتنقسم هذه العملية الى قسمين

النقد الباطني الايجابي:

التأكد من معنى الألفاظ في الوثيقة

تحديد المعنى الحقيقي والقصد من ما جاء في الوثيقة

قاعدة مهمة لمعرفة المعنى الحقيقي للمؤلف، وهي القاعدة التي استخدمها علماء المسلمين في تفسير النصوص، ومعرفة المراد منها، وهي تفسير القرآن بالقرآن أو القرآن بالسنة ، فكذلك يمكن للباحث استخدام وثائق أخرى للمؤلف للاستعانة بتفسير نصه.

النقد الباطني السلبي:

ويعتمد الباحث خلال هذه المرحلة المهمة على قاعدتين هما:

قواعد النقد الباطني السلبي

ان الحقيقة العلمية لا تقرر او تتم عن طريق شهود العيان فقط ، فلا يجوز الوثوق في رواية لمجرد ان صاحبها شاهد عيان ، ينبغي ان تتوافر لدى الباحث الادلة التي تثبت صحة تلك الرواية ، لان شاهد العيان قد يخطيء ، و قد يكون عرضة لكثير من الاوهام .

لا يجوز نقد الوثيقة كوحدة عامة ، بل ينبغي تحليلها الى عناصرها لا ستخلاص كل الاقوال المستقلة التي تتالف منها ، و فحص كل منها على حدة ، لان الجملة قد تحتوي على عدة اقوال مرتبطة ، قد يكون بعضها صحيحا ، و بعضها الاخر غير صحيح عن عمد او غبر عمد

النقد الباطني السلبي:

بناء على القاعدتين السالفتا الذكر على الباحث أن يعرف:

الاحوال التي وضعت فيها الوثيقة ، و تمحيص الظروف التي احاطت بالمؤلف

معرفة اهواء المؤلف وايديولوجيته و بيئته و غير دلك من الامور التي تساعد في الكشف الحقائق

ويمكن أيضا في هذا الاطار طرح مجموعة من الأسئلة التي تساعد على كشف الحقائق مثل:
هل المؤلف في وضع يسمح له بمشاهدة الواقعة التاريخية بشكل واضح؟.
هل تمتع راوي الحادثة التاريخية بجميع شروط المشاهدة العلمية ؟.، و هل كان في موضع يسمح له بالملاحظة بدقة ، و دون أي مصلحة عملية ؟.

نموذج دراسة وثائق (نازلة قرارة والوثائق المرتبطة بها)

نص السؤال: وهو سؤال عن حكم الهجرة في بلد أهلها مسلمون، تغلب عليهم الكافر، مع تمكينهم من ممارسة أمور دينهم، وعدم التعرض لهم، على جراية يقدمونه له كل شهر.

– إجابة مفتي الحنفية عبد الرحمن بن عبد الله سراج بمكة: على أن الإجابة فيما تفضل أعلاه أن هذه الأرض هي ارض اسلام لا دار حرب، وعليه لا تجب الهجرة منها لأنها: لا تجري عليها أحكام الشرك؛ وأنها غير متصلة بدار الحرب؛ وأن فيها مسلمون وذميون سالمون في أمور دينهم.

– اجابة مفتي الشافعية محمد سعيد بن محمد بابصيل بمكة: لا تجب محاربة الكفار مع عدم القدرة، وأن هذه البلاد لا تصير أرض حرب باستلاء الكفار عليها لإمكانهم اظهار دينهم.

– إجابة مفتي المالكية محمد عابد ابن المرحوم حسين بمكة: الموافقة على ما أقره السادة الأعلام في فتواهم.

من خلال الوثائق التي بين أيدنا يتضح أن موضوع الرسالة قديم في طرحه عند علماء الجزائر، وهذا السبب راجع الى دور السلطة الدينية وأهميتها في توجيه السلوك الاجتماعي عند أهل المغرب عموما والجزائر خصوصا، ولعل أهم هذه الفتاوى والرسائل نذكر:

– الفتوى الأولى: رسالة الإمام الونشريسي والمسماة بـ "أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر" مطبوعة (يمكن ايراد معلومات الطبع).

– الفتوى الثانية: رسالة الأمير عبد القادر الجزائري والمسماة "سيف الدين لقطع شبه المرتدين" وهي أيضا مطبوعة)يمكن ايراد معلومات الطبع).

– الفتوى الثالثة: الفتوى التي أصدرتها السلطات الفرنسية مع بعض مشايخ الطرقية في الجزائر وسخرت لهذه المهمة الجاسوس ليون روش لنقلها الى تونس ومصر ومكة والمدينة لموافقة أعيان المسلمين عليها. (ليون روش، ص 21/ أو كما أوضحته رسالة ليون روش الى الجينرال بيجو والمؤرخة في 10 نوفمبر 1841م، نفسه 21.)

مضمون رسالة موريس لولو المسؤل عن نيابة كتابة الدولة للمستعمرات والمؤرخة في 5 مارس 1894؟

عرض حال الى الحاكم العام بالجزائر عن رأي حاكم السودان في نشر الفتوى والذي أقترح عدم نشرها، ثم عرض للموافقة التي أبداها حاكم ساحل العاج وغينيا الفرنسية.

- ما هو مضمون رسالة حاكم السودان المؤرخة في 17 جانفي 1894م؟

هو اقتراح بعدم نشر النازلة في هذا الوقت بسبب جهلهم بأحكام الدين عكس شعوب شمال إفريقيا، فهم لا يسمعون للاستدلال بل الى روح العواطف.

- ماذا يمكن أن نستخلص من الرسالتين؟.

- يمكن استخلاص الأطماع التوسعية الفرنسية في جنوب الصحراء الافريقية.

- حرص فرنسا على تهدئة الأوضاع في الجزائر لتفرغ لسيطرة على باقي المستعمرات.

- جذب العائلات النافذة والطرق الصوفية التي تساعد على تثبيت الوجود الفرنسي في المنطقة.

الحلقة البحثية الثانية:

إشكالية تعامل الطلبة مع الرواية الشفوية

أغلب التراث الشفهي يحمل في طياته تناقضات كثيرة مع التاريخ المدون، من ذلك أن أغلب الروايات الشفوية تسودها ثلاثة مفاهيم ثقافية مهمة هي

هناك من يرى أن الروايات الشفوية لا تصلح وثائق ومستندات لدراسة التاريخ، لكن قد نتراجع عن هذا الرأي إذا تذكرنا أن أغلب الوثائق المدونة كانت في الأصل روايات متناقلة قبل أن تدون، وعلى هذا الأساس فإن الوثائق الشفوية لا تقل أهمية عن الوثائق المدونة، و لا تتفوق الأخرى على الأولى إلا بكونها تخضع لطرق متعددة للتأكد منها و خلوها من التزوير، و لكن ليس من الصعب أن توضع ضوابط مماثلة لإثبات صحة الوثائق الشفوية قبل تسجيلها بواسطة آلات التسجيل و تدوينها.

- افتقارها لمفهوم القياس الزمني
- عدم وضوح الفكرة التاريخية فيها
- النظر إلى الماضي بمثالية كبيرة

العمل الميداني: قبل البدء بالعمل الميداني يجب وضع تصور مسبق للمشروع، و رسم مخطط عمل، حرصا على عدم التشتت من جهة، و على بلوغ أفضل النتائج في الوقت المتاح، و الذي كثيرا ما تتخلله عقبات بعضها طارئ، و يشمل مخطط العمل:

تحديد منطقة العمل و التي يمكن أن تكون مدينة، أو بلدة، أو محافظة، أو قرية

دراسة تاريخ المنطقة، و معرفة جغرافيتها.

تحديد الموضوع الذي سنعمل على جمعه، كأن يكون الحكاية الشعبية، أو الأمثال...

معرفة أساليب عيش السكان و عاداتهم و تقاليدهم و عقائدهم.

-جمع معلومات وافرة عن الموضوع بالعودة إلى ما كتب عنه ما قدم عنه من برامج إذاعية.

تجهيز خريطة توضح القرى و المسافات بينهاتحديد القرى التي سيشملها البحث

أسماء الرواة في القرية و صفات كل منهم، و عناوينهم و تحديد الراوي الأول

وضع قائمة بأسماء الأفراد الذين يمكن الاستعانة بهم في المنطقة، مثل الأعيان، الكتاب، المعلمون...

المصاعب التي تواجه التاريخ الشفوي و العمل الميداني

- طغيان النزعة المصلحية، فقد ينكر الناس إلى كل شيء و كل عمل بمنظار الربح و الخسارة
- **قلة الوعي بأهمية التاريخ الشفوي**
- قلة توفر مراكز أبحاث متخصصة في هذا المجال
- قلة وجود مؤسسات ثقافية تتبنى مشروع التاريخ الشفوي
- كون الجهود التوثيقية الشفوية لا تزال في بدايتها
- الوضع الصحي لعدد غير قليل من الرواة الكبار، فأمراض الكبر كثيرة
- قلة اعتماد مادة تاريخ الشفوي كمنهج أو موضوع دراسة في المعاهد المتخصصة
- قلة توفر المعلومات لدى الباحث عن موضوع بحثه، مما قد يسبب له حرجا أمام الراوي
- عدم تعريف الراوي أيضا بأهداف المقابلة وجهة البحث و أهمية الموضوع للمصلحة العامة

المصاعب التي تواجه التاريخ الشفوي و العمل الميداني

طبيعة المنطقة، فبعض المناطق أو الجماعات تميل إلى التكتم، خاصة أمام الغريب ومع النساء

الخروج عن موضوع المقابلة و إظهار الباحث نفسه بأنه أعلم من الراوي

اعتقاد بعض الناس بأن جامع البحث سيجني ثروة من المعلومات التي يدونها

ضعف ثقة الرواي بالباحث، فإذا لم يكسب الباحث ثقة الراوي و احترامه فلن يحصل على شيء

قد يقوم الباحث بتحريف أقوال الراوي و التأثير عليه بوسائل مختلفة لحمله على تضخيم الأحداث أو سرد حكايات و قصص لم تحدث، و بهذا يكون الباحث قد أخذ شهادة الراوي بطريقة غير أخلاقية و غير علمية و بعيقلة اعتماد مادة تاريخ الشفوي كمنهج أو موضوع دراسة في المعاهد المتخصصة

الراوي هو الشخص الذي سيتم مقابلته، و لديه معلومات و أخبار متنوعة عن مواضيع كثيرة سواء كانت هذه المعلومات عن أحداث وقعت أو معلومات عن أشخاص، فالراوي له أهمية كبيرة في تدوين الذاكرة، إذ يعتبر المصدر الأول و عليه يتوقف مدى استفادة الباحث من مواضيع التاريخ الشفوي المختلفة، فإنه لا بد من تحديد الموصفات المطلوبة لاختيار الراوي أو الرواة من أجل الحصول على المعلومات و الروايات السليمة بالشكل الصحيح و هذه المواصفات:

- أن يكون الراوي يتمتع بالنزاهة و المصداقية و الموضوعية.

- الرغبة الحقيقية و الموافقة من قبل الراوي على إجراء المقابلة الشخصية

أمام هذه الضوابط التي ستسير عليها الدراسة في عملية التقويم، لنقيس على أساسها صحة و منطقية الروايات فهي كالتالي:

- مدى مساهمة الراوي في صنع أحداث الفترة التي يروي عنها.

- مدى استخدام الباحث لعدة روايات لحدث بعينه مما يدعم موقفه.

- مدى استخدام الباحث لرواية الآحاد يضعف من قوتها.

- عدم ذكر الباحث لاسم الراوي يفقد أهميتها.

تتألف عملية البحث في مجال التراث الشفوي من ثلاث مراحل متتالية هي:

1

جمع المادة من مصادرها الشفوية

2

تصنيف ما تم جمعه و فهرسته و إيداعه في أرشيف

3

دراسة وتحليل الرويات

الرواية الشفوية

الحلقة البحثية الثالثة:

المدرسة الوضعية والكتابة التاريخية

المدرسة الوثائقية أو الوضعانية وكتابة التاريخ

ظهرت هذه المدرسة في ظل الحركات القومية التي شهدتها أوروبا خلال القرن 19 م, وخاصة في إطار الجمهورية الفرنسية الثالثة وعزمها على استعادة منطقة الألزاس واللورين وتدعيم برنامجها الاستعماري.

وظهرت هذه المدرسة في وقت قويت فيها حركة القوميات بأوروبا في أواخر القرن 19م. وفي إطار الجمهورية الثالثة الفرنسية وعزمها على استعادة منطقة ألزاس – لوران Alsace – lorraine وبرنامجها الاستعماري التوسعي.[2]

وخضع علم التاريخ لهيمنة الوضعين والذي تمثل في اسقاط القوانين الخاصة بالعلوم الطبيعية على الانسان. وتعد ألمانيا الموطن الأصلي لتلك المدرسة فقد تميزت تلك الفترة بسيطرة العلوم التجريبية على حل القضايا، وآمنت هذه المدرسة بان العلم الوحيد هو علم الطبيعة القائم على الرياضيات والتجربة.[3]

فأشاعت مفهوم علمي للكتابة التاريخية يماثل في غرضه أغراض العلوم الطبيعية من حيث اكتشاف قوانين ثابتة للكون سواء في مجال الطبيعة أم في مجال التاريخ.[4]

وقد أصبح شبه اتفاق بان البحث التاريخي وتفسير التاريخ ينتهج نفس الطريقة العلمية في البحث عن الأصول، ولكن مما لا شك فيه أن تجربته التاريخ تختلف عنها في العلوم الصرفة.[5]

وكان فضل تطور علم التاريخ الى المدرسة برلين نيبوهر وقائدها ليو بولدفون رانكه 1795-1886 م leopold van ranke وسابقوه آخرون مثل فيكو[10].

أعلن رواد المدرسة الوضعية أن دراسة التاريخ تتم فقط بالاعتماد على الوثائق الرسمية المكتوبة, و بالتركيز على الوقائع وتحقيقها, فمهمة المؤرخ الرئيسية هي تجميع الوثائق وصيانتها وحفظها في دور الأرشيف, واستغلالها بكل تجرد وحياد على غرار ما كان يدعو إليه المؤرخ الألماني فان رانكه .

وبالتالي يمكن القول إن المؤرخين الوضعانيين مجدوا العمل حول الوثائق, وهو أمر نظر إليه كمجابهة ضرورية مع المعطيات التجريبية للمعرفة التاريخية لاسيما وأن الدولة بذلت مجهودا كبيرا لجمع وتنظيم رصيد الأرشيفات العمومية وللامتثال لمقياس النهج العلمي الذي أخذه البحث التاريخي على عاتقه.

الخطوات المنهجية للمدرسة الوضعية:

– جمع الوثائق وتنظيمها وفهرستها وتبويبها.

– نقد الوثائق:

1) على المستوى الخارجي: ويهتم المؤرخ في هذا المستوى بتحقيق تاريخ كتابة الوثيقة, ومكان كتابتها وطبيعتها, ومدى موضوعيتها وصدق معلوماتها (أي هل هي مزيفة أم أصلية).

2) على المستوى الداخلي: يقوم المؤرخ بتحليل محتوى الوثيقة, ونقدها نقدا إيجابيا للتأكد مما قاله صاحبها ثم يعمل على فهم وتحديد الظروف التي كتبت فيها الوثيقة من أجل مراقبة أقوال الكاتب. وهنا لابد من التذكير بحدود تعامل المؤرخ مع الوثيقة من خلال ما قاله فان رانكه بأن « **مهمة المؤرخ تتمثل في وصف ما وقع حقيقة في الماضي وليس في تقييم ذلك»**

- عملية التركيب والتأليف: وتضم مقارنة الوثائق للتأكد من الحدث التاريخي ثم تجميع الأحداث في أطر عامة مثل: المعطيات الطبيعية, والأنشطة الاقتصادية, والفئات الاجتماعية, والمؤسسات السياسية.
- إقامة العلاقات بين هذه الأحداث.
- وأخيرا تتم عملية التأليف حيث يحاول المؤرخ إصدار بعض الأحكام العامة, وإعطاء بعض التأويلات مع التحفظ .

سمات الكتابة التاريخية الوضعية:

– الاهتمام بالحدث والواقعة السياسية العسكرية والإدارية والدبلوماسية.

– الاهتمام بالأحداث المنفردة المعزولة وذات التأثير القصير.

– الاعتماد على التفسير البسيط لسلوك الأفراد مهما كانوا ملوكا أو زعماء أو قادة.

– استعمال السرد البسيط المتمثل في الرواية التي تغلب عليها الصبغة الدينية والأدبية.

– التركيز على الشخصيات البارزة واللامعة.

– الاستعمال المحدود للوثيقة واختزالها في الوثائق الرسمية والمكتوبة .

أشرنا فيما سبق أن فضل الوضعانية يعود الى مدرسة برلين التاريخية وقائدها ليو بولدفون رانكه 1795-1886، ثم تطورت المدرسة على أيدي مجموعة من الباحثين الفرنسيين نذكر منهم:

ارنست لافيس : Ernest Lavisse 1842 - 1922، مؤرخ فرنسي، كان استاذًا في السربون.

حرر بالتعاون مع رامبو التاريخ العام من القرن 4 حتى يومنا هذا وهو مكون من 12 مجلدًا من عام 1893 حتى عام 1901.

واشرف بمفرده على تحرير تاريخ فرنسا منذ أصولها الأولى وحتى الثورة أو Histoire de France depuis les origines jusqu'à la Révolution في 9 مجلدات من 1901 وحتى 1911.

تاريخ فرنسا المعاصرة أو l'Histoire contemporaine de la France في 10 مجلدات عام 1920 حتى عام 1922.

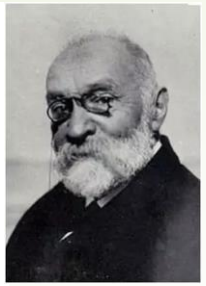

يعد شارل سينوبوس من مؤسسي مدرسة المناهج الفرنسية بحيث تعد نقطة التحول في مساره ألتعلمي زيارته وإقامته في ألمانيا وبالتحديد في مدينة برلين أين استطاع أن يصقل ثقافته التاريخية

ويبدع بعدها في إرساء قواعد الكتابة التاريخية ، مما جعل كتاباته وأعماله تعد إسهاماً فعلياء أرست قواعد المدرسة الوضعية في فرنسا ، والتي ازدهرت طوال فترة الجمهورية الثالثة 1870_1940.

يعتقد السينبوس أن التاريخ ليس إلا وضعية عمل بالوثائق» mise en œuvre de docu- ment» . وبتالي فبالنسبة له الوثيقة هي الوسيلة الوحيدة الحاملة للوقائع التاريخية ، أما عمل المؤرخ استدلالي ، أي أنه ينطلق من معطى الوثيقة ليصل إلى الحقيقة .

تعرضت هذه المدرسة للانتقاد منذ أوائل القرن العشرين من طرف أنصار مجلة التركيب ورواد مدرسة الحوليات.

من قصور المدرسة الوضعية رفضهم النتائج الفلسفية التي تتجاوزها النظريات العلمية الطبيعية التجريبية.

كما أنهم سقطوا في التحزب والقومية[20].

هذه المدرسة التي كانت تدعوا نظريا الى الموضوعية المطلقة كرست في الواقع إنتاجها لخدمة مبادئ الجمهورية الثالثة الفرنسية ونزعتها الاستعمارية بواسطة محتويات المجلة التاريخية.

وكذلك إلى تكريس النظام الجمهوري وتحليل الظاهرة الاستعمارية على أنها رسالة حضارية وتجعل من البلد المستعمر قوة اقتصادية[21] .

الحلقة البحثية الثالثة:

مدرسة الحوليات والكتابة التاريخية

مدرسة الحوليات: قامت مدرسة الحوليات وعمل مؤسسوها على دعوة المؤرخين إلى الخروج من الدواوين الوزارية والمجالس البرلمانية من أجل ملاحظة مباشرة للفرق الاجتماعية للبنيات الاقتصادية. وباختصار لدراسة كل المجتمع في عمقه الأكبر.

تميز مشروع "الحوليات" بالدعوة إلى تكسير عقلية الجمود والتخصص الضيق السائد في المدرسة الوضعية، ومثلت سنة 1929م مرحلة أساسية في إنجاز المشروع حيث قام كل من لوسيان فيفر ومرك بلوك بإصدار مجلة "الحوليات" التي عملت منذ تأسيسها على تحقيق هدفين اثنين :

1

- **الانتقال من مرحلة النقاش النظري إلى مرحلة الإنجاز الفعلي لمشروع التداخل بين العلوم الاجتماعية وذلك عن طريق إنجاز أعمال فردية أو بلورة مشاريع جماعية.**

2

- **تكسير عقلية التخصص الضيقة وفتح مجال التعاون وتبادل الخبرات بين مختلف العلوم الاجتماعية.**

مارك بلوك

لوسيان فيفر

مارك بلوك (1886-1944) ولوسيان فيفر (1878- 1956م)، والتاريخ الحولي وحاولا جعل علم التاريخ أساسا راسخا في الأنظمة الأكاديمية الفرنسية ودعمه بأطروحات مدرسة علم الإجتماع التي دعا إليها دوركهايم ومدرسته ،وقد أسست هذه المدرسة للربط بين الماضي والحاضر ، ومساءلة الماضي من خلال الحاضر

ويدافع مارك بلوخ بقوة في كتابه عن التعددية في مجال البحث التاريخي. وعنده أنّ علوم الإنسان ليست "في حاجة للتخلي عن أوصولها ولا عليها أن تشعر بالخجل"، لأنّ كلّ علم "إنما هو جزء من الحركة العالمية نحو المعرفة"، ويمتلك جمالية لغة خاصة به، كلّ علم يشكّل "منظوراً ينبغي أن تكمله آفاق أخرى". ويزيد الأمور توضيحاً بقوله: "يأتي الخطر عندما يدّعي كلّ منظور أنّ له وحده حق النظر وعندما تأخذ كلّ منطقة من مناطق المعرفة نفسها على أنها وطن المعرفة

وتجدر الإشارة أن رواد مدرسة "الحوليات" اعتبروا أن الكتابة التاريخية قابلة للتقدم وللتجديد, رافضة للانغلاق في قوالب جامدة. وتجلى ذلك أساسا من خلال العناوين التي أخذتها مجلة "الحوليات : "

في سنة 1929 م:

Les Annales d'histoire économique et sociale

ومابين سنتي 1939 و1941 م اتخذت اسم:

Les Annales d'histoire sociale

ومابين سنتي 1942 و 1944 م عرفت باسم:

Mélanges d'histoire sociale

وفي سنة 1945م:

Les annales d'histoire économique et sociale

وفي سنة 1946م أصبح الاسم:

Annales: économies, sociétés, civilisations

وابتداء من سنة 1994 حملت المجلة اسم:

Annales: histoire et sciences sociales.

من هذا المنطلق يمكن القول بأن المنهج التاريخي شهد تغييرا شاملا يمكن أن نلمسه في الأمور التالية :

- بروز الاهتمام بالإشكاليات (مثلا إشكالية التنظير والثقافة الشفاهية).

الاعتناء بالمقاربات الجديدة كالمنهج الإحصائي, والأدوات الأنتروبولوجية, ونتائج الأبحاث الأركيولوجية.

- توسيع دائرة المواضيع بحيث أصبح المؤرخون يهتمون في أبحاثهم بالتحولات المناخية, والموقف من الموت, وتاريخ الفلكلور, والسينما, الاحتفالات .

وعلى العموم فلقد أثرت مدرسة الحوليات في موضوع الكتابة التاريخية والمنهج, وأثرت في عقلية المؤرخ الذي صار مستعدا لتقبل مستجدات محيطه العلمي. وبالتالي أفضى التصور الجديد إلى نتيجتين مهمتين:

الأولى تتمثل في إلغاء الحدود بين التاريخ والعلوم الاجتماعية, فبرزت مجموعة من التخصصات الثنائية : الديمغرافية التاريخية, التاريخ الاجتماعي, التاريخ الاقتصادي.

الثانية فتتجلى في استعارة المفاهيم وتبني المناهج والأدوات المستعملة في العلوم الأخرى, مما أدى إلى بروز تخصصات جديدة في الدراسات التاريخية: تاريخ الذهنيات, تاريخ المؤسسات, تاريخ المعتقدات .

الخطوات التطبيقية لمدرسة "الحوليات":"

-اهتمام المؤرخ بالمستوى العام الجماعي (بدل المستوى الخاص والفردي) وبالثوابت بدل الأحداث.

اعتماد أسلوب التحليل بدل أسلوب الرواية.

-التخلي عن الكتابة بلغة ذات صيغة أدبية أو دينية والكتابة بلغة مفاهيمية.

-تبني المفاهيم والأدوات والتقنيات وطرق التحليل, كالاستعانة بالجداول والعينات.

– توسيع مفهوم الوثيقة لتشمل الوثائق الرسمية وغير الرسمية بكل أنواعها (الوثيقة المكتوبة, الوثيقة البصرية, الوثيقة السمعية– البصرية, الوثيقة التشكيلية, الوثيقة الالكترونية).

-توسيع مفهوم الزمن (مفهوم مركزي في صناعة التاريخ), وقد لخص فيرناند بروديل ذلك في ثلاثة أزمنة: الزمن القصير الذي يناسب الزمن الفرد., ثم الزمن المتوسط الذي يناسب زمن التحولات السوسيولوجية, والزمن الطويل الذي يناسب التاريخ البنيوي وهو زمن بطيء وإيقاعاته مرتبطة بالمجال وبما هو ذهني.

ميّز بروديل بين ثلاثة أزمنة تاريخية:

الزمن الأول: الزمن الجغرافي أي التاريخ شبه الثابت، المستقر، الذي لا يكاد الإحساس بـ"تقلصاته" ممكناً. وهذا الزمن التاريخي يخص بالتحديد العلاقة مع البشر ومع الوسط المحيط

الزمن الثاني: الاقتصادي الاجتماعي فيخص التاريخ "المتحرك ببطء"، ويقصد فيه بروديل الزمن الاجتماعي الذي يخص فعل المجموعات الإنسانية الضمني، أي الذي يحدث في عمق المجتمعات بحيث لا يبدو منه الشيء الكثير على السطح.

الزمن الثالث: السياسي الذي يخص التاريخ التقليدي الحدثي "المتحرك على السطح"، أي الذي يعرف "أحداثاً ـ منعطفات" في تاريخ المجتمعات كنتيجة للعمل البطيء للمجموعات الاجتماعية على المدى الطويل. وهذا التاريخ هو أكثر التواريخ تشويقاً وأكثرها غنى على المستوى الإنساني

يتم التمييز عادة في مدرسة الحوليات بين ثلاثة أجيال؛ جيل المؤسّسَيْن، وهما مارك بلوك ولوسيان فيبر، ثم يأتي بعده الجيل الثاني مجسدا بالخصوص في فرناند بروديل، ثم الجيل الثالث مثل جاك لوغوف وإيمانويل لوروا لادوري وغيرهما، وهذا التقسيم هو ما التزم به واحد من أهم مؤرخي تاريخ المدرسة الحوليات وتموجاتها، أعني فرانسوا دوس في كتابه «التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد»، فلو ألقينا نظرة من فوق على تصميم كتابه، فسنجده مقسما إلى أربعة أقسام، ما قبل التاريخ الحوليات La préhistoire des Annales، بعده زمن مارك بلوك ولوسيان فيبر Le temps de Marc Bloch et Lucien Febvre، وهو فصل كما هو واضح مخصص للرائدين الأوليين، وبعده سنوات بروديل Les années Braudel، وقد خصصه الباحث لرؤية بروديل للتاريخ والسياق التاريخي والملابسات الواقعية لما كتبه، ثم الفصل الأخير سماه «التاريخ المفتت» Histoire en miettes ولا يخفى أن الباحث سمى الجيل الثالث بهذا الاسم بسبب التشظي الكبير الذي حدث داخل المدرسة، وتباين الاهتمامات التي أدت إلى تفتت التاريخ، وفقدان هويته إلى حد ما.